تَعلِيمُ الصَّغِيرِ

خُلُق

التَوقِيرِ للكَبِيرِ

كتبه/

أبو المنذر عمار الحوباني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-

أما بعد :

فمن أجلِّ ما يقدمه الأخ لأخيه هو تبادل النصيحة فيما بينهما فهذا من أصول ديننا كما جاء عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-قَالَ : " الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ؟ قَالَ : للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ " رواه مسلم (٥٦).

وإن العبد قد يكون في قصور ببعض ما يحتاج إلى تنبيه عليها فإذا ما ذكر تنبه ولو على أمور لا يبنى عليها الحلال والحرام وإنما قد تكون آدابا مهمة

في السلوك والمعاملات وهي من كمال خصال الأخلاق وقد يكون في سهو عنها فإذا ما ذكر بها تفطن للمراد والمؤمن مرآة أخيه كما جاء عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيْه». [رواه البخاري، في الأدب المفرد، برقم: (٢٣٨)، وصححه العلامة الألباني في تحقيقه عليه].

ومن هذا المنطلق فقد رأيت أني أتطرق لأدب مهم ينبغي أن يتعود عليه الأبناء ويتربوا عليه في كيفيه التعامل مع غيرهم من كبار السن وأولي الفضل من أهل العلم وكانت المناسبة لذلك ما جاء عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :" بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ : يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ : نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي : مِثْلَهَا...إلخ. رواه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٥).

وما جاء أيضا عن أبي أُمَامَةَ بْنَ سَهْل رضي الله عنه ، قال : " صَلَّيْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الظُّهْرَ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه فَوَجَدْنَاهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ، فَقُلْتُ : يَا عَمِّ ، مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّيْتَ؟ قَالَ : الْعَصْرُ، وَهَذِهِ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الَّتِي كُنَّا نُصَلِّي مَعَهُ " وراه البخاري (٥٤٩) ومسلم (٦٢٦).

وما جاء عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مِنْ حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ اللهُّ أَصْحَابَهُ، قَالَ أَبُو مُوسَى : وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ، فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ : يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟.....الحديث" رواه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٥٠١).

شاهدنا من هذه الأحاديث أنَّ فيها: أدب التخاطب مع الكبير من أهل الفضل وغيرهم وتوقيرهم واحترامهم حال التكلم معهم:

فقوله : " يا عم " قد وردت في كثير من الأحاديث مما يدل على أصل قول يا عم لمن هو أكبر سنا ، وتوقير من كان من أهل الفضل والصلاح

قال العيني رحمه الله :-

قَوْله : (يَا عَم) ، بِكَسْر الْمِيم، وَأَصله: يَا عمي، فحذفت الْيَاء، وَهَذَا من بَاب التوقير وَالْإِكْرَام لأنس، لِأَنَّهُ لَيْسَ عَمه على الْحَقِيقَة. أهـ من في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ٣٦).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله- :-

وقوله له " *يا عم* " هو على سبيل التوقير ولكونه أكبر سنا منه مع أن نسبهما مجتمع في الأنصار، لكنه ليس عمه على الحقيقة. أهـ من فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٨).

وقال الإمام النووي-رحمه الله:-

"وهذه عادة العرب في آداب خطابهم؛ يخاطب الصغير الكبير بـ يا *عمّ* احتراما له، ورفعا لمرتبته" أهـ من شرحه على مسلم (٣/ ٢٠٣).

قـلـت:

إن هذا الخلق خُلقٌ نبيل وهذه خصلة محمودة أنصح وأخص بها إخواننا أهل السنة بأن يعودوا أبناءهم عليها في التعامل مع من هم أكبر منهم سنًا سواء ممن هم في مقام آبائهم أو من كانوا من أهل الفضل من مشايخ و معلمين

فإن مما يشين الولد في سن الصغر أو في بداية شبابه وخاصة إن كان من أبناء المشايخ والدعاة وطلاب العلم وأهل الخير ألا وهو مناداة شيخه باسمه مجردا دون استعمال لفظ يوحي بتوقير كأن يقول يا عم أو يا شيخ أو يا أستاذ أو يناديه بكنيته يا أبا فلان وغير ذلك فهذا مما يُعاب عليه في النفس ويستقبحه السامع وقد يستحي منه المنادى وخاصة إن كان ذلك أمام العوام والله المستعان.

فإننا نرى أن هذا ينبغي أن يضبط وخاصة بين طلاب العلم فإنه من كمال الأدب ، ومن الخلق الحسن الذي يربي الولد عليه منذ الصغر ، فيعنى به

لأنه من جملة الأخلاق الحسنة التي تكسب المرء وقارا و أدبا ، وهذا يعود إيجابيا على الوالد المربي فإنه من أدّبه وهذبه فيُذكر بالخير بين الناس لما يرون من أخلاق ولده الحسنة.

وقد رأيت وسمعت ما دعاني للكتابة وحز في نفسي أن بعض الأبناء في مجالس بعض الشيوخ أو عند اللقاء بالمدرسين أو بأهل الفضل ينادي بـــ يا فلان ويا أخ أو بلقبه.... الخ!!!؟؟ وقد حضرت مجلسا لأحد أبناء إخواننا طلاب العلم في سن دون الخامسة عشر ينادي أحد المشايخ الكبار باسمه مجردا مما أثار تعجب الحاضرين ودون استعمال لفظ فيه توقير له وإنزاله منزلته وهذا شيء يتكرر عند بعضهم مما يجعل السامع يشعر وكأن ذلك الولد بمرتبته في الفضل وفي سن مقارب له أو أكبر منه مع أنه في الواقع يكون في بداية بلوغه ، أو حديث عهد ببلوغ ، أو يكون حديث عهد بطلب علم ، أو هو طالب لايزال في مرحلة التحصيل للبدائيات وغير ذلك ، فهو يتعامل معه وكأنه بمرتبته!!!

بينما من يخاطبه في مقام والده وكبير سن ، أو شابت لحيته في العلم والخير

وهذه الخصلة مذمومة في التعامل مع أولي الفضل

ومما ورد في ذلك عن السلف ما جاء عن إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحُنْظَلِيِّ رحمه الله قال: جَاءَ فَتًى إِلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ مِنْ خَلَفِهِ فَحَيَّاهُ، وَقَالَ : يَا سُفْيَانُ، حَدِّثْنِي، فَالْتَفَتَ سُفْيَانُ، فَقَالَ : " يَا فَتًى، إِنَّهُ مَنْ جَهِلَ أَقْدَارَ الرِّجَالِ فَهُوَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ أَجْهَلُ " رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة (٣٦).

ومن سلبيات هذا الخلق عند الأبناء أنه قد يحصل أمام العوام فيضعف هيبة ذلك الشيخ أو طالب العلم والداعي إلى الله فيصير العامي لا يقدر حملة العلم وهذا يجعله يزهد في الأخذ عنهم لظنه أنهم ليسوا أهلا لذلك وقد لا يكون سوء هذا التصرف من الولد ناتجا عن كبر وتعالي وتعمد الإساءة بل قد يكون ولدا صالحا حافظا للقرآن أو بعضه، أو مجتهدا في العلم والطلب ولكن ما يحصل له قد يكون جهلا منه، أو غفلة ، أو عن قصور من أبيه ومن يربيه لم يعلمه آداب التعامل مع الآخرين وأهمل في توجيهه، وقد يكون السبب أيضا بيئة الأبناء أصحاب الفوضى والخلطة

بهم إلى غير ذلك من الأسباب التي تكون سببا لاكتساب الولد هذا الخلق الغير طيب.



الخــــلاصــــة

مما ينبغي علينا يا إخواني طلاب العلم أن نضبط هذه الآداب لأولادنا وليكن لنا معهم وقفات في تربيتهم على دقائق الأمور وخاصة فيما يتعلق بالمعاملات مع الآخرين وأن يولي كل منا لهذا الجانب اهتماما كبيرا

هذا وينبغي أن لا نغفل عن نقطة مهمة وهي: 👈 أن الوالد قدوة لولده فبعض الآباء – هداهم الله– يتخاطبون مع من هم أكبر منهم سنا وأكثر منهم علما بتلكم الطريقة مما يجعل الولد يظن أن هذا الفعل لا بأس به فإن والدي يخاطب الجد الفلاني أو الشيخ الفلاني باسمه وهكذا.. فلذلك عليكم أيها الآباء – بارك الله فيكم – بإصلاح أنفسكم أولا ليصلح أبناؤكم بصلاحكم ، ثم قوموا بدور التوجيه والنصح والإرشاد لهم بطرق طيبة يُقبلون عليها محبة ورغبة في إرضاء الله وليس خوفا فقط من

وجودكم عند تعاملهم مع الآخرين ، وترغيبا لهم في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال :" إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا " رواه البخاري (٦٠٣٥) ومسلم(٢٣٢٣).

وما جاء عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللهِّ – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قَالَ : " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ "، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِّ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ : " الْمُتَكَبِّرُونَ " رواه الترمذي (٢٠١٨) بإسناد حسن.

فتعود ابنك على الأخلاق بتحفيزه لما له من عظيم الأجر والجزاء فيزداد حبا في اكتساب الأخلاق الحسنة بل وينافس بها غيره من أقرانه فكثير منا ربما عايش بعض الأبناء وكيف يذكرونهم بالذم ، و عدم الإحترام ويصفون أباءهم بأنهم لم يربوهم وربما تحرجوا نصح آبائهم وإذا نُصح الولد بادره بسوء الخلق والله المستعان.

فيا أخي طالب العلم لا تعرض نفسك وولدك للطعن بك بأنك لم تُحسن التربية سواء في هذا الباب ، أو في غيره من المعاملات مما هو من طاعة الله ، أو مما هو في التعامل مع الناس.

وهذه نصيحة عامة لنا جميعا أن يتدارك كل منا أبناءه وبناته ويتعاهدهم بالنصح والتوجيه ، ويجتهد في غرس الأخلاق الحسنة ، ليجني ثماراً يانعة في الدنيا والآخرة



وهنا ننبه على أمـــر وهو:

قد يقول قائل ولدي ينادي من هو أكبر منه سنا باسمه مجردا ؛ لأنه ليس شيخا ولا مدرسا معلما له أو لا يعرفه جيدا....الخ

أقـول : من الخلق الحسن أن يناديه "بــ يـا عم" لو كان في مقام والده ، أو يا أبا فلان إن لم يكن كذلك.... الخ

والكلام في هذا أعني به في تعاملات الأبناء مع أهل السنة ، أما مع العوام

فجميل أيضا أن ينادى من هو في مقام أبيه وجده بـ يا عم ، أو يا جد أو إذا كان من أهل المهن فمثلا يا طبيب ويا مهندس ويا استاذ ونحو ذلك والبنت تنادي من في مقام أمها يا خالة أو يا عمة أو يا استاذة ونحو ذلك بحسب ما تعارف عليه الناس عرفا، وقد رأيت بعض العوام أهل الأدب منهم من يزجر ولده إن نادى من هو أكبر منه سنا باسمه تأديبا له بل وسمعت من يقول لولده :نادِ من تراه من أهل العلم بـ ياشيخ ويا فقيه ونحو ذلك، ويعلمون الأولاد أن ينادوا من يكبرهم بيـــا عم فلان احتراما له ، فهذا واقع ملموس وجدناه بين العوام فجزاهم الله خيرا

فالأخلاق الحسنة ينبغي أن يعنى بها أهل السنة وطلاب العلم قبل الجميع فهم حملة الدين والدعاة إليه فلابد من التخلق بالأخلاق الحسنة وتهذيب نفسه عليها فإنه محط أنظار ممن يحب الطعن والتقليل من شأن الدعوة السلفية الصحيحة فلا ندع لهم ثغرة للطعن فيها ونتسلح بالأخلاق الفاضلة التي دعانا الرسول إليها ولنتذكر حديث النبي-

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- حينما أخذته خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل فقالت له تأدبا واحتراما:" يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى.." رواه البخاري (٤) ومسلم (١٦٢) عن أمنا عائشة رضي الله عنها.

ففيه حسن المخاطبة من خديجة رضي الله عنها وفيه أن من خلق الكبير مع الصغير أن يلاطفه بألفاظ حسنه ويناديه بما يشعر بالثناء والإهتمام لأمره فهذا يشجع الولد كثيرا إن صدر من أهل الفضل

الشاهد منه أن خديجة رضي الله عنها ذكرت صيغة طيبة في كيفية مخاطبة من هم أكبر منها سنا وأيضا توقيرا لزوجها فلم تجرده بذكر اسمه فجمعت بين احترامه وتوقيره في نفسه ومع غيره رضي الله عنها



* خــتامــا *:

أُذكر الجميع بما جاء عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قال: جَاءَ شَيْخٌ

يُرِيدُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا». رواه الترمذي، برقم: (١٩١٩)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (١/ ٣٤٩).

وجاء عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : " لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ "رواه أحمد في مسنده (٢٢٢٤٨) وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٢٤).

أبناء أهل السنة الأصل أنهم على خير وعلى خلق حسن في هذا الباب

وهذا من فضل الله وهم أولى من يطبقون هذه الأخلاق ونحن نراها واقعا في الكثير من الأبناء لأنهم يفقهون ما جاء عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: " إِنَّ مِنْ

إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ " رواه أبو داود (٤٨٤٣) وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٢٣).

هذا هو الأصل فيهم وإنما هذه سطور لا بأس فيها من التذكير وهي من باب استمرار النصح فإن ديننا قائم على ذلك ، فمن قصر فليصلح ومن كان محسنا فليستمر.

وما أجمل ما قيل:

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا عَلى ماكانَ عَوَّدَهُ أَبوه

وَما دانَ الفَتى بِحِجىً وَلَكِن يُعَلِّمُهُ التَدَيُّنَ أَقرَبوه

وإني لأعتذر لطول المنشور ولكنه للأهمية فكان لابد من ذلك وإلا فالأدلة في هذا الباب كثيرة جدا وإنما أشرت لبعضها[1]

---

(١) ثم بحمد الله بعد ذلك أضفت إلى هذا المنشور ما كان من بابه وجعلته في رسالة مستقلة بعنوان "تذكير بأهمية الإحترام والتوقير".

ونسأل الله التوفيق والسداد لنا ولأبنائنا وبناتنا وسائر أبناء وبنات المسلمين ، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ أبو المنذر عمار الحوباني في تاريخ ٤/ ٤/ ١٤٤٤من هجرة النبي ﷺ .